الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

النحويّون بين الخـــــلاف والتأدب

د. خلود بنت عبد الله إبراهيم النازل

أستاذة النحو والصرف المساعدة في جامعة حفر الباطن

Politeness in the dispute of grammarians

Dr. Kholoud Bint Abdullah Ibrahim Al Nazel

Professor of Syntax, Morphology and Assistant Philology at the University of" ."Hafr Al-Batin

الملخّص

يدرك الباحث في النحو العربي قيمة الخلاف في الدرس النحويّ، وهذا الخلاف له ثماره الإيجابيّة، كما أنّ له بعض الآثار السلبيّة على هذا العلم، وعلى تلقيه عند المتأخّرين وطالبي العلم، ولا شكّ أنّ للخلاف جذورًا ضاربة في تاريخ النحو، ولعلّ بداياتها كانت عند أبرز عالمين نحويّين في مدرستين رائدتين، وهما: سيبويه والكسائي في المسألة الزنبوريّة الشهيرة.

وفي هذه الدراسة وقفت على الخلاف النحويّ بنظرة علميّة موضوعيّة، وصوّرت من خلال هذه الدراسة أدب النحويين الذين تسلّحوا بالخُلُق الإسلاميّ القويم، ولم يحِد بهم الخلاف عن منهج الصواب، ولعلّ هذه الدراسة أصّلت لأبرز صفات العالم والباحث، وهي صفة الصبر على المخالف، والحلم والأناة، وقد تناولت الموضوع متبعة المنهج الوصفيّ.

ومن أبرز النتائج التي أثمرت عنها هذه الدراسة: قيمة الخُلُق الإسلامي في قبول علم العالم وبركته وانتشاره، وأثر الخلاف النحوي الإيجابي في توسّع هذا العلم وتطوّره، وقيمة احترام الرأي المخالف عند المحدثين وتأسّيهم بسابقيهم.

الكلمات المفتاحية: الخُلُق- العالِم- النحويّ – الخلاف – التأدب - التأثير.

: Abstract

The researcher in Arabic grammar realizes the value of disagreement in the grammatical lesson, this disagreement has its positive fruits, it also has some negative effects on this science, and on its acceptance among the latecomers and the seekers of knowledge, no doubt the disagreement has striking roots in the history of grammar, perhaps its beginnings were with the most prominent grammarians in two leading schools, namely: Sibawayh and Al-Kisa'i in the famous case Al-Zanbouriyya.

In this study, I stood on the grammatical dispute with an objective scientific view, and I portrayed the politeness of the grammarians who were armed with the correct Islamic morals, whatever the difference did not deviate them from the right path, and perhaps this study reached to the most prominent characteristics of the scientist and the researcher, which is the characteristic of patience toward the opponent, leniency and calmness, also I dealt with the subject, following the descriptive approach.

Among the most prominent results of this study: the value of Islamic ethics in accepting, accepting, blessing and spreading the knowledge of the scientist, the impact of the positive grammatical dispute on the expansion and development of this science, and the value of respecting the dissenting opinion of the modernists and their emulation of their predecessors.

.**Keywords:** Moral, Scientist, Grammarian, Disagreement, Politeness, Influence

المقدّمة

الخلاف في النحو ظاهرة طبعيّة ما دام خلافًا علميًّا لم تؤدِّ إليه بواعث غير نحويّة، كالتنافس على مكاسب الدنيا، أو اختلاف التوجّه الفكريّ، والمذهب الفقهيّ، أو اختلاف البلد... وقد تجاوز أبو البركات الأنباريّ عدّ الخلاف بين عبد الله بن أبي إسحاق (117ه)، وعيسى بن عمر (149ه)، وأبي عمرو بن العلاء (154ه) خلافًا مذهبيًّا؛ فكلّهم بصريّ الإقامة، يجمع بينهم المكان، وعدم التنافس على شيء... فكان الخلاف بينهم نحويًّا يصور ميل بعضهم إلى القياس، وميل سواه إلى السماع، وهو خلاف علميّ، فيه الرأي والرأي الآخر، والتنافس على دقّة المعلومة، والتسليم بالصواب عند قيام الدليل[1].

[01] انظر: حسن خميس الملخ، "العقل النحويّ". (ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018م)، ص102.

وفي هذه الدراسة وقفتُ على الخلاف النحويّ، ونماذج منه، وصوره في تاريخ النحو، وأثره في توسّع النحو وتطوّره، مع التركيز على الخُلُق العلميّ الرفيع الذي تميّز به علماؤنا الأجلّاء، كما وقفتُ على الجانب الإيجابيّ للخلاف النحويّ، وأثره في الفكر العلميّ على مرّ العصور.

واتبعتُ المنهج الوصفي التحليلي، باستقراء الخلاف النحويّ، والوقوف على تطوّره، وأنواعه، وأثره في الفكر النحويّ.

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

1. الوقوف على أنواع الخلاف النحويّ، وأسبابه.
2. إبراز قيمة الخلاف النحويّ في إظهار أخلاق العلماء المسلمين.
3. إظهار التأثير والتأثّر في هذه القضيّة العلميّة.

أهمية الدراسة: للدراسة أهمية كبيرة في الوقوف على قيمة التخلّق بالخُلق الإسلامي الأصيل في مقامات الخلاف عند العلماء، وقد أبرزه علماء النحو في مواقف باقية على مرّ العصور، ورأيت في هذه الدراسة قيمة إظهارها، وأثرها في الفكر النحوي، وترسيخها في نفوس طلّاب العلم؛ للإفادة منها، والتسلّح بها عند طلب العلم.

حدود الدراسة: - موضوعية: الخلاف النحويّ وآثاره في العصور اللغويّة.

- مكانية: حدودها في أماكن الدرس اللغويّ العربيّ.
- زمانية: منذ بدء وضع القواعد النحويّة إلى القرن الثامن.

محتوى الدراسة: تتألف هذه الدراسة من:

مقدمة: تعرض لمنهج الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، وحدودها.

تمهيد: يعرض لمفهوم الخلاف في اللغة والاصطلاح، وأثره في الفكر النحويّ.

مباحث الدراسة: وهي:

المبحث الأوّل: الخلاف النحوي وصناعة علم النحو

المبحث الثاني: أدب النحويين في الخلاف

المبحث الثالث: أثر المتقدّمين في المتأخّرين

الدراسات السابقة: من خلال بحثي في المكتبات، وقواعد المعلومات لم أجد دراسات عنيت بالقيم الأخلاقيّة لعلماء النحو العربيّ، وأثر أخلاقهم العالية في الفكر النحوي، وكلّ ما وجدت دراسات تدور في فلك الخلاف، دون التركيز على القيم التي يحتاج إليها طالب العلم المعاصر، ومن الدراسات التي عُنيت بموضوع الخلاف:

- **اختلاف النحاة: ثماره وآثاره في الدرس النحويّ**، عبد النبي جعفر، رسالة ماجستير من جامعة أم درمان، 2009م.

- **الاختلاف النحوي بين البصريين: أسبابه وأثره في تطوّر النحو العربيّ**، ندى إبراهيم، رسالة ماجستير من جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2009م.
- **الخلافات النحويّة في باب المرفوعات التي سكت عنها الأنباري في الإنصاف من خلال ارتشاف الضرب لأبي حيّان**، مثيبة الشريف، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى، 2012م.
- **الخلاف النحويّ بين البصريين والكوفيين –دراسة تطبيقية في كتابي معاني القرآن للأخفش والفرّاء-** د. جيلالي بو عافية وآخرون، مجلّة الإشعاع، مج 8، ع1، 2021م.

وبعد استقراء هذه الدراسات وغيرها وجدتها قد استفاضت في موضوع الخلاف بين النحويين، وأسباب الخلاف، والترجيح بين هذه الخلافات، ولم تقف على الجانب النفسي والخُلُقي للنحويّين، وهو جانب مهمّ يصوّر قيمة الدين والعلم في تعاملات علماء المسلمين، وعلماء النحو أنموذج لهم، وهذا ما وقفتُ عليه في دراستي هذه.

وألفتُ انتباه الباحثين لقيمة هذا الموضوع في زماننا؛ لما نجده من إهمال لموضوع القيم، وأثرها في بركة العلم وانتشاره، وأرجو أن ينبري الباحثون المسلمون في كثير من التخصصات العلميّة إلى إظهار الوجه المشرق لعلماء المسلمين؛ ليتخذهم أبناؤنا قدوات في أخذ العلم، ويبتعدون عن التعصّب للرأي، والإساءة للمخالف، ويتعلّمون كبح جماح الهوى، والإنصاف، والقول الحسن؛ ملتزمين قول الحقّ –جلّ وعلا- (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ) [سورة البقرة:83]. فقد قدّم الله –عزّ وجلّ- القول الحسن على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

التمهيـــــــــد

الخلاف في اللغة والاصطلاح:

الخلاف لغة: قال ابن فارس: "الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة، أحدها: أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: خلاف، قدّام، والثالث: التغيير"[2]. وقال الفيروزآبادي: "الخلف: نقيض قدّام... والرديء من القول..."[3]. وفي المعجم الوسيط: "جاء خِلافه: بعده... وخالفَ الشيء: ضادّه، ويقال خالف بين الشيئين..."[4]. فالمراد منه في اللغة: ضدّ الموافقة.

الخلاف اصطلاحًا:

"منازعة تجري بين المتعارضين؛ لتحقيق حقّ أو لإبطال باطل..."[5]. وعند الكفويّ: "الخِلاف بمعنى المخالفة أعمّ من الضدّ؛ لأنّ كلّ ضدّين مختلفان"[6].

---

[2] ابن فارس، "مقاييس اللغة". تحقيق الشامي، (القاهرة: دار الحديث، 2008م)، 267.

[3] الفيروزآبادي، "القاموس المحيط". (بيروت: دار الجيل)، 3: 140.

[4] مجموعة من المؤلّفين، "المعجم الوسيط". (تركيا: المكتبة الإسلاميّة، د.ت)، 250.

[5] الجرجاني، "التعريفات". تحقيق محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2013م)، 105.

[6] الكفويّ، "الكليّات". تحقيق محمد تامر وأنس الشامي، (القاهرة: دار الحديث، 2014م)، 362.

الفرق بين الخلاف والاختلاف:

الاختلاف يأتي معناه بمعنى الخلاف، ولم يفرّق بينهما أكثر العلماء، ولكنّ الكفويّ فرّق بينهما، فقال: الاختلاف هو أن يكون الطريق مختلفًا، والمقصود واحدًا، والخلاف هو أن يكون كلاهما مختلفًا... والاختلاف هو ما يستند إلى دليل، والخلاف ما لا يستند إلى دليل، والاختلاف من آثار الرحمة، والخلاف من آثار البدعة[7].

وفرّق بعضهم بينهما من وجه أنّ الخلاف يحمل مضمون النزاع والشقاق والتباين الحقيقي، والاختلاف ما يحمل التغاير اللفظي لا الحقيقي؛ ولهذا يجري على لسان أهل العلم في المسائل الخلافيّة: هذا اختلاف لا خلاف إذا كان الاختلاف لفظيًّا، والجمع بين القولين ممكنًا[8].

وللاختلاف أسباب كثيرة بين البشر، بل هو ضرورة لا بدّ منها، تعود إلى التباين في المدارك والعقول، والنظر إلى النصوص، والاستنباط وفهم الأحكام، ويرجع الاختلاف إلى أسباب، منها: طبيعة الدين، أو طبيعة اللغة، أو طبيعة البشر[9]:

- **طبيعة الدين:** فقد أراد الله في أحكامه أن يكون هناك المنصوص عليه، والمسكوت عنه، وأن يكون في المنصوص عليه المحكمات والمتشابهات، والقطعيّات والظنيّات، والصريح والمؤول؛ لتعمل العقول في الاجتهاد والاستنباط فيما يقبل الاجتهاد.

  ولله حكمة في ذلك؛ لتتفق طبيعة الدين مع طبيعة الزمن.
- **طبيعة اللغة:** فإنّ نصوص القرآن والسنّة جاءت وفق ما تقتضيه اللغة في المفردات والتراكيب؛ ففيها المشترك، وفيها الحقيقة والمجاز، والمطلق والمقيّد.
- **طبيعة البشر:** فقد خلقهم الله مختلفين؛ فكلّ إنسان له شخصيته المستقلّة، وتفكيره، وميوله، ومن العبث محو هذا الاختلاف.
- **طبيعة الحياة:** فالكون مختلف الأنواع والصور والألوان؛ وهذا ليس اختلاف تضارب، بل اختلاف تنوّع... وطبيعة الإنسان يتأثّر ببيئته، وزمانه، ومقروءاته.
- **العامل السياسي:** وهذا ما لمسناه في تاريخ النحو عند النحويين، وسيرد في موضعه من هذه الدراسة.

والذي يعنينا في دراستنا هذه هو الخلاف الذي قام بين النحويين في رؤاهم العلميّة وآرائهم، وما كان له من أثر نفسيّ بينهم، وما أسفر عنه من آثار بقيت لهم أو عليهم، وما يمكننا أن نستفيد منه في الارتقاء بمفهوم الخلاف العلميّ، واستثمار إيجابيّاته، دون أن يصل بالعالم أو الباحث إلى غلبة الهوى وحبّ الانتصار للنفس، ودراسة سجاياهم التي تحكم هذا الاختلاف، وتغذّيه إيجابًا أو سلبًا.

المبحث الأوّل: الخلاف النحوي وصناعة علم النحو

---

[7] انظر: الكفويّ، "الكليّات". 50.

[8] انظر: محمد عوّامة، "أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين". (دار اليسر، 2007م)، 3: 11.

[9] انظر: عبد النبي جعفر، "اختلاف النحاة: ثماره وآثاره في الدرس النحويّ". (رسالة ماجستير من جامعة أم درمان، 2009م)، 4.

الخلاف النحويّ باب كبير استفاض فيه الباحثون والمؤلّفون، وقد بدأت جذوره منذ القرن الثاني عندما وضع العلماء أصول هذا العلم، وظهرت صور التنافس العلميّ بين روّاده الكبار، وقد أرّخت لنا الدراسات النحويّة بعضًا من قصص الخلاف النحويّ، ولعلّ أولى صور هذا الخلاف ما ورد في قصّة عيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء في نصب أو رفع (المسك)، في قولهم: (ليس الطيبُ إلّا المسكَ)، وكان عيسى بن عمر مذهبه القياس؛ بأنّ (إلّا) لا تنقض عمل (ليس)، فينصب (المسك)، فأثبت له أبو عمرو أنّه ليس على الأرض حجازيّ إلّا وهو ينصب، وليس على الأرض تميميّ إلّا وهو يرفع... فأخرج عيسى بن عمر خاتمه من يده، وقال له: لك الخاتم، بهذا والله فقت الناس...[10] وهذا خلاف علميّ، تظهر فيه أخلاق العلماء، وتسليمهم بالصواب عند قيام الدليل. وسأقف في هذه الدراسة على أكثر الشخصيّات التي عُرف بينها الخلاف النحويّ، وأسباب خلافاتهم النحويّة وبواعثها... ومنها:

- **خلاف الخليل والكسائي:** وصف حمزة الأصفهاني الخليل (ت 175ه) بأنّه فيلسوف دولة الإسلام، وقد كان شخصيّة زاهدة بعيدة عن أولي الأمر، فقد كان الملوك يقصدونه، ويتعرّضون له لينال منهم، فلم يكن ليفعل؛ فلم تدفعه دوافع الطمع والمادّة إلى طلب القرب من أصحاب المكانة، أمّا الكسائي (ت 189ه)، فقد كان من خاصّة المقرّبين من الخلفاء والأمراء، وقد كان من القرّاء السبعة؛ فتعلّم النحو على كِبر، ولكنّ القضيّة ليست في السنّ بل في المنهج، ذلك أنّ الكسائي أنِفَ أن يتعلّم القوانين التي استخرجها الخليل، فقفز إلى البادية، ولكنّ هذه الرحلة لم تجعل منه نحويًا، فالمادّة المسموعة هي اللغة لا النحو، والنحو مستنبط من لغة العرب، ويظهر أنّ القرب من الخلفاء جعل في شخصيّة الكسائي تعاليًا على الخليل مع أنّه كان يقدّره[11].
- **خلاف سيبويه والكسائي:** تؤرّخ الدراسات النحويّة للمسألة الزنبوريّة[12]، وتذكر سبب وفود سيبويه (ت180ه) على الرشيد ببغداد، وتعرّضه لمناظرة الكسائي؛ فقد كان متصفًا بعلوّ الهمّة والثقة بعلمه، ولم يكن ذهابه إلى بغداد في الأساس خلافًا جوهريًّا في النحو والصرف، بل كان التنافس في مكاسب الدنيا أقوى سبب؛ فكان دفاع الكسائي ليس عن النحو الكوفيّ، بل عن مكانه ووظيفته، فهو تنافس وظيفيّ[13].

---

[10] انظر القصة كاملة في: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين". تحقيق محمد أبو الفضل، (ط2، دار المعارف، 1984م)، 43.

[11] انظر: حسن الملخ، "العقل النحوي". 105.

[12] انظر: شوقي ضيف، "المدارس النحويّة". (ط11، القاهرة: دار المعارف، 2005م)، 58.

[13] انظر: حسن الملخ، "العقل النحوي". 108.

- **خلاف الكسائي والأخفش:** ابتُلي الكسائي بالأخفش الأوسط (ت215ه)، إلّا أنّه اتخذه مؤدبًا لأولاده، فأطفأ بذلك نار الثأر لسيبويه التي أتت من بغداد، ويبدو أنّ الأخفش لم يكن قادرًا على منافسة الكسائي عند الرشيد وأبنائه؛ إذ كان أخفش العينين ضعيف البصر، ولكنّه شخصيّة نحويّة فريدة، تتميّز بالاجتهاد، وله آراء مفردة في كتب النحو، ويبدو أنّ بينه وبين الكسائي غيرة خفيّة؛ لأنّ الكسائي طلب منه أن يصنع كتابًا في معاني القرآن، ثمّ اتخذه إمامًا ونسج على منواله[14].
- **خلاف المازني ومن عاصره من الكوفيين:** كان المازني (ت249ه) صاحب عاطفة إنسانيّة محبّة للخير، ويكره الإيذاء وينفر منه –كما وصفه المؤرّخون- وقد التقى بعض نحاة الكوفة، ونال منهم علميًا، لكنّه احتفظ لهم بالودّ والتقدير، فناظر في مجلس الخليفة الواثق النحويّ ابن قادم الكوفيّ (ت 251 ه)، كما ناظر في مجلس آخر ابن السكّيت (ت 244ه) في وزن (نكتل)، حتى قال له ابن السكّيت: ما حملك على هذا وبيني وبينك المودّة الخالصة؟ فقال: والله ما أردت تخطئتك، ولم أظنّ أن يعزب عنك[15]. فالعلاقة بينهما ودّ خالص، والخلاف نتيجة طبعيّة لاشتراكهما في معرفة علم يجمع بينهما. ومرجع صفة الإنسانيّة عند المازني أمران: أوّلهما: عدم الطمع في التقرّب إلى الخلفاء، وثانيهما: تحرّره من العصبيّة، وقبول الرأي الآخر ما دام السماع يعضده والقياس يقرّه؛ ولذلك لم يقتنع بوجود خلاف جوهريّ بين البصريين والكوفيين[16].
- **خلاف المبرّد وثعلب:** أشهر ثنائيين للخلاف النحويّ بين البصريين والكوفيّين بعد سيبويه والكسائي هما: أبو العبّاس المبرّد (ت 285ه)، وأبو العباس ثعلب (ت291ه)، وقد كان المبرّد من العلم والأدب، وكثرة الحفظ، وكرم العشرة، وحلاوة المخاطبة، وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد ممّن تقدّمه أو تأخّر عنه، وقد برع في النحو، وحلّ بغداد وثعلب فيها يتبوّأ المكانة العالية، فاتصل بالخلفاء والأمراء، وأصبح مقربًا منهم، واستمال إليه التلاميذ، وبعضهم من تلامذة ثعلب المقربين إليه كالزجاج، فصار بينهما ما يكون عادة بين المتنافسين، فكلٌ منهما طامح إلى التصدّر، والبون شاسع بينهما، فقد كان ثعلب لغويًّا ينقل عن الكسائي والفرّاء، فإذا سئل عن الحجّة لم يأتِ بشيء، وكان المبرّد نحويًّا خالصًا قيّاسًا معللًا... ومع ذلك فقد كانت علاقتهما جيدة إذا ابتعدا عن مواضعات العمل والدراسات النحويّة واللغويّة، فلم تتجاوز خلافاتهما إطار التنافس العلميّ، واكتساب الوجاهة

---

[14] انظر: حسن الملخ، "العقل النحوي". 115.

[15] انظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين". تحقيق محمد أبو الفضل، (ط2، دار المعارف، 1984م)، 89.

[16] انظر: حسن الملخ، "العقل النحوي". 123.

لدى أولي الأمر[17]. وقيل: كان ثعلب لا يكاد يجتمع مع المبرّد في مجلس، فإذا تلاقيا في الطريق توافقا وتساءلا[18].

ومن العلماء الذين اختلفوا، وأرّخت لهم دراسات تاريخ النحو: (الجرميّ والفرّاء، والكسائي والأصمعي، وثعلب والرياشي... وغيرهم)[19].

يطول الحديث عندما نستعرض خلافات علميّة بين مئات العلماء في ميدان علميّ مشترك؛ فالعقول والمشارب والبيئات والنزعات متباينة، وكلّ ذلك يفرض الخلاف ويغذّيه، وهذا أمر لا غرابة فيه، بل هي طبيعة النفس البشريّة، وعندما نزن النحويين بميزان العدالة نلخّص أسباب الخلاف بينهم بعدّة أمور، منها:

1) التنافس والرغبة في إظهار التمكّن العلميّ.
2) الحصول على المنزلة والمكانة عند الخلفاء والأمراء.
3) اختلاف المنهج الفكريّ، والثقافة.
4) أسلوب كلّ مدرسة في السماع والقياس والتعليل.

ولكنّا لا نلمس عند استقراء المظانّ التراثيّة استحالة هذا الخلاف العلميّ إلى عداء، ومحاولة الكيد والإيقاع بالآخر، فيما عدا ما روى التاريخ من خلاف سيبويه والكسائي، ومع ما في هذه القصّة من إظهار لجانب نفسيّ سلبيّ عند إمام من أئمّة القراءات، وإن كان التسليم بالمرويّات قد لا يظهر بعض الحقائق الغائبة في نفوس البشر، إلّا أنّ إيقاع الكسائي بسيبويه كان منشؤه التنافس العلميّ، والرغبة في الحظوة عند الخلفاء... ولنظهر الوجه الإيجابي للخلاف النحويّ بين العلماء، علينا ألّا نلغي الوجه السلبي لهذا الخلاف، ولا ننفيه، بل ندع النصوص والأرقام تثبت ما نراه ونميل إليه، وهذا ما سأعرض له في المبحث الثاني؛ فأقف بالتفصيل على صور من مواقف النحويّين في تعاملهم مع المخالف، مستشهدة بعباراتهم المبثوثة في كتب النحو واللغة.

المبحث الثاني: أدب النحويين في الخلاف

---

[17] انظر: حسن الملخ، "العقل النحوي". 128-129.

[18] انظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة". تحقيق محمّد أبو الفضل، (بيروت: المكتبة العصريّة، 2009م)، 1: 184.

[19] انظر: الزجاجي، "مجالس العلماء". تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت)، 35-48.

المتأمّل في خلافات النحويين، وفي آرائهم النحويّة يجد من سمات الخُلق الإسلاميّ الرفيع الكثير، ويرى أنّ كثيرًا منهم اتسم بقبول الرأي الآخر، والإنصاف، ومجانبة الهوى، ومن هذه النماذج والصور ما يسطّرها لنا التاريخ النحويّ، والمظانّ النحويّة، وسأعرض نماذج منها في هذه الدراسة:

أولًا: قبول الرأي الآخر في الأحكام النحويّة:

إنّ إجلال العلماء بعضهم بعضًا واضح جليّ في قبول آراء سابقيهم، ومع ظهور روح الخلاف النحويّ إلّا أنّ التعامل مع هذا الخلاف بإنصاف وتقدير للآخر واضح في عباراتهم، وسأقف على أحكامهم على سابقيهم عند اختلاف آرائهم النحويّة، ومن ذلك قول **ابن ولّاد** (ت 332ه) في سيبويه: "فأما معنى قوله: رفعت بما نصبت به، فإنمّا أراد رفعت مع الكلمة التي نصبت بها، **وهذا تسمّح يقع في اللفظ مما يجوز للقائل أن يقوله، وليس يعدّ مثل هذا خطأ** مع علمه بمذهب قائله إلا متحامل"[20]. ثمّ يقول: "وليس هذا ممّا يذهب على سيبويه، وعنه أخذ البصريون صغيرهم وكبيرهم ممّن أتى بعده"[21]. وإنّها لكلمات تحمل معاني الإجلال والإكبار لسيبويه في تحليل ابن ولّاد لأحكامه النحويّة.

ومن أبرز العلماء الذين ظهرت عندهم هذه الأخلاق العلميّة العالية **ابن جني** (ت 392ه)، فقد كان يجلّ العلماء، ويكبرهم، ويظهر ذلك في أحكامه على سابقيه، وأسلوب صياغتها، ومن صور ذلك قوله: "على أنّ سيبويه قد **تسمّح** في بعض ألفاظه في الكتاب فقال: (هما علامتا تأنيث)، وإنما ذلك **تجوّز منه في اللفظ... ووجه تجوّزه** أنه لما كانت التاء لا تبدل من الواو فيهما إلا مع المؤنث صارتا كأنّهما علامتا تأنيث"[22]. فهو يلتمس له العذر، ويسوّغ تسمّحه.

وقوله في تسامح الفرّاء(ت207ه): **"**وأنّ الفرّاء **تسمّح** في ذكر مثل هذا على اختلاف أصوله، **وأنّ عذره في ذلك تشابه اللفظين بعد القلب"**[23].

كذلك قوله في تسامح المازني: "وإنّما **تسامح** فيه؛ **لأنّه معلوم الموضع، وليس ممّا يذهب على المبتدئين فضلًا عن الأشياخ المتقدّمين"**[24].

ويقول في حكم ابن السرّاج (ت316ه): "إنما هو **تجوّز** في اللفظ، فأمّا في الحقيقة، فإنه شرح وتفسير وتتميم للعلّة..."[25]. ولم يقل أخطأ، أو وهم، بل رأى أنّه تجوّز في لفظ علّة العلّة، واستعمال هذه العبارة له دلالات

---

[20] ابن ولّاد، "الانتصار لسيبويه على المبرّد". تحقيق زهير سلطان، (ط1، مؤسسة الرسالة، 1996م)، 73.

[21] ابن ولّاد، "الانتصار لسيبويه على المبرّد". 73.

[22] ابن جني، "الخصائص". تحقيق محمد علي النجّار، (المكتبة العلمية، د.ت)، 1: 201-204. وابن جني، "سر صناعة الإعراب". تحقيق حسن هنداوي (د.ت)، 1: 149.

[23] ابن جني، "الخصائص". 2: 48.

[24] ابن جني، "المنصف شرح تصريف المازني". تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، (ط1، دار إحياء التراث القديم، 1954م)، 1: 112.

[25] ابن جني، "الخصائص". 1: 173.

على تقدير ابن جني لسابقيه، وإجلالهم، وقبول تجوّزهم، ويصل قمة الأخلاق العلميّة حين يقول: **"ويمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عنّا"**[26]. ومن هذه العبارات نتعلّم الكثير.

ويقول ابن جني: **"...ولكنّه تسامح في اللفظ،** وهو من عادة أهل العربية، ولهم أشياء كثيرة تحمل على المسامحة، ولكنّهم يفعلون هذا لأنّ أغراضهم مفهومة... وهذا المعنى يريدون ولكنّهم **يختصرون"**[27].

وتجد ذلك أيضًا واضحًا عند **ناظر الجيش** (ت778ه)، فإجلاله ابن مالك ينطق به شرحه للتسهيل، ومنه قوله: ولكنّ المصنّف جعل النيابة للجارّ والمجرور معًا، ولا شكّ أنّهما في الصورة هما القائمان مقام الفاعل، فكان ذلك هو الحامل على **التجوّز، وليس هذا الأمر ممّا يخفى على أضعف الناظرين في كلام النحاة، فما ظنّك بالمصنّف صاحب النّظر العالي رحمه الله تعالى!**[28]. وإنّ عبارات الترحم والثناء تظهر تقدير العالم لسابقه.

وأقوال **الشاطبي** (ت 790ه) تنطق بذلك أيضًا في كثير من المواضع، ومنها قوله: "لكن **لما كان المعنى واحدًا تساهل** في العبارة"[29]. وقوله في باب التصريف: "فاستعماله لفظ الصّرف **تسامح اعتبارًا بأصل المعنى؛** لأن (صَرَّفَ) الذي مصدره التصريف مبالغة في (صَرَفَ) الذي مصدره الصَرْف..."[30]. فهو هنا يلتمس العذر للمصنّف، ويعلله.

ويقول أيضًا: "والحقّ أنّ الذي اعتمد عليه هو ما تقدّم، **وإنّما أتى هنا بهذه العبارة على عادة النحويين في التساهل في مثلها،** حتّى إذا أخذوا في تحقيق المسألة أوضحوا مقاصدهم فيها"[31]. وإنّها عبارة تصوّر تفهّمه للحكم النحوي، وتحليله له، وإجلاله للعلماء!

ثمّ يقول: **"إذا نظرنا في كتب المتقدّمين لا نشاقُّهم في عباراتهم، ولا نَتَّبَّع ألفاظهم هذا التتبّع، فإنّا إن فَعَلنا ذلك كنّا مخطئين في أخذ كلامهم متعسّفين في تقصيدهم ما قصدوا ما لم يقصدوا"**[32]. وهذا النصّ يصوّر النزاهة العلميّة، والموضوعية.

هذه العبارات التي نجدها مختبئة في زوايا مصنّفاتنا النحويّة تشعرنا بعظمة العلم، وقيمته في التأثير على السلوك الإنساني، والعالم قدوة فيما يكتب، فهذه العبارات تضع للباحثين منهجًا وطريقة في النقد؛ فلم يُغفل اللاحقون أحكام السابقين، ولم يحمّلوها أكثر ممّا تحتمل، وإنّما نظروا إليها بعين الوعي والبصيرة، فقبلوا منها ما تقبله أعراف اللغة، ورفضوا منها ما لا تقبله اللغة، ويؤدّي للإلباس وعدم الفهم، مع احترام العلماء وإكبارهم، وهذه العبارات علمٌ يجب أن يدرّس، فهو لا يقلّ عن غيره من العلوم قيمة، ولا يبعد أن يكون منهجًا

---

[26] ابن جني، "الخصائص". 1: 66.

[27] ابن جني، "المنصف شرح تصريف المازني". 1: 198.

[28] انظر: ناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد". تحقيق علي فاخر وآخرين، (ط1، القاهرة: دار السلام للنشر، 2007م)، 4: 162.

[29] الشاطبي، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية". تحقيق محمد البنّا، (ط1، مكة المكرّمة، معهد البحوث العلميّة وإحياء التراث الإسلامي، 2007م)، 8: 56.

[30] الشاطبي، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية". تحقيق محمد البنّا، 8: 219.

[31] الشاطبي، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية". تحقيق البنّا وقطامش، 4: 387.

[32] الشاطبي، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية". تحقيق محمد البنّا، 8: 367.

للتعامل مع المخالف، وطريقة الخلاف.

ثانيًا: العلاقات الإيجابيّة بينهم في أمور الحياة:

المتصفّح الباحث في كتب تاريخ النحويين يدرك أنّهم بشر يخطئون، ويرجعون... ينزع بهم الهوى منزعًا، ولكنّهم يصفحون، وهذه من أهمّ صفات العالم، ويؤكّد ذلك علاقاتهم الرفيعة خارج حدود الدرس النحويّ، وسأعرض لبعض العبارات التي تمتلئ بها صفحات الكتب، وتصوّر لنا علاقاتهم الإنسانيّة، ومنها:

ما يرويه الأثرم: "دخل اليزيدي يومًا على الخليل، وعنده جماعة، وهو جالس على وسادة، فأوسع له، فجلس معه اليزيدي على وسادته"، فقال له اليزيدي: "أحسبني قد ضيّقت عليك**!**"، فقال الخليل: "ما ضاق مكان على اثنين متحابّين، والدنيا لا تسع اثنين متباغضين**"**[33]. وهذا النصّ يصوّر أخلاق الخليل العالية، والباحث يدرك ما كان عليه الخليل من خُلُق وزهد؛ ويروى أنّ سليمان بن علي وجّه إليه دعوة لتأديب ولده، فأخرج الخليل إلى رسول سليمان خبزًا يابسًا، وقال: "كل فما عندي غيره، وما دمتُ أجدُه فلا حاجة لي إلى سليمان**"**[34]. وهذه من صور زهده التي قال فيها بعضهم: "**أُكِلت** الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه، وهو في خُصّ لا يشعر به أحد**"**[35]. وقد انعكس هذا الزهد على تعامله مع معاصريه، وهذه علامة التوفيق للإحسان إلى الناس، ولعلّ انتشار علمه أكبر دليل على قيمة ما كان عليه.

ويقول الزبيدي في خلاف **المبرّد وثعلب**: "كانا إذا تلاقيا على ظهر الطريق تساءلا وتوافقا**"**[36]. فلم يكن الخلاف العلميّ يصل بهما إلى القطيعة والضغينة، وهذه أمارة سلامة الصدر التي يجب أن يتصف بها المؤمن.

ومن ذلك قول **ابن السكّيت للمازني** عندما خطّأه: ما حملك على هذا وبيني وبينك المودّة الخالصة؟ فقال: والله ما أردت تخطئتك، ولم أظنّ أن يعزب عنك[37]. وللمازني قصص عظيمة تصوّر خُلُقه العلميّ الرفيع، ومنها: أنّ الواثق أمره أن يختبر مؤدّبي أولاده، فاختبرهم، فما وجد عندهم من العلم طائلًا، فحذروا منه، فقال لهم: لا بأس على أحد، واعتذر عنهم للخليفة[38].

ومن هؤلاء أيضًا **الرمّاني** (ت384ه) الذي عُرِف بعفّة اللسان واحترام سابقيه ومعاصريه؛ فمن أقواله: "لا تُعادينّ أحدًا، وإن ظننت أنّه لن ينفعك**"**[39]. وقيل أنّه ابتلي برجل من مرو، لم يفهم عليه جواب سؤال في النحو؛ فتطاول عليه بلسانه حتّى همّ تلامذة الرمّاني بضربه، فمنعهم وحامى عنه، وقال لأبي الحسن الدقّاق (ت406ه):

---

[33] الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". قدّم له رياض عثمان، (بيروت، دار الكتب العلميّة، 2014م)، 70.

[34] الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". 51.

[35] الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". 52.

[36] الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين". 143.

[37] انظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين". 89.

[38] انظر: السيوطي، "تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب". تحقيق حسن الملخ وسهى نعجة، (الأردن: عالم الكتب الحيث، 2008م)، 2: 702.

[39] ابن فضل الله العمري، "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار". تحقيق عبد العبّاس عبد الجاسم، (الإمارات، المجمع الثقافي، 2002م)، 7: 113.

متى رأيت مثل هذا، فلا يكوننّ منك إلّا المودّة والاحتمال، وإلّا فتصير نظيرًا لخصمك"[40]. وكذلك كان مع نحويي عصره مع ما لبعضهم من حدّة في المنافسة، وهذا غير بعيد بين الأقران.

ويروى عن **الأصمعي** (ت216ه) أنّه كان في مجلسه ذات يوم، فأقبل أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت224ه)، فقال: "أترون هذا المقبل؟"، فقالوا: نعم، قال: "لن يضيع الناس ما حيي هذا المقبل"[41]... وهذه الكلمات التي خلّدها التاريخ تمثّل تقديرهم لأقرانهم، وإجلال بعضهم بعضًا، وإنّها أمثلة تحتذى.

وتخلّد المصنّفات مواقف أبي حيّان من ابن مالك، وعباراته تصوّر للقارئ الاحترام الذي يكنّه أبو حيّان لابن مالك، ويظهر ذلك في أقواله، ومنها: "لا يكون تحت السماء أنحى ممّن عرف ما في تسهيله"[42]، وقوله عن مؤلفاته الأخرى: "هي كثيرة الإفادة، موسومة بالإجادة"[43]، وقد ذكر السيوطي: "أنّه هو الذي جسّر الناس على مصنّفات ابن مالك، ورغّبهم في قراءتها، وشرح لهم غامضها، وخاض بهم لججها"[44].

هذه النصوص تجلّي لنا مواقف علمائنا من معاصريهم أو سابقيهم، وهي صور إنسانيّة تتجاوز التنافس العلمي إلى الخُلُق الإسلاميّ الجمّ.

المبحث الثالث: أثر المتقدّمين في المتأخرين

من القضايا المهمّة قضيّة التأثير والتأثّر عند العلماء؛ فالعالم اللاحق يتأثّر بفكر سابقه، ويأخذ عنه، ويؤيده، وقد يختلف معه، ويعارضه، والسابق يؤثّر بلاحقيه بمقدار علمه وفكره وخُلُقه.

وقد رأيتُ العلماء يتأثرون كثيرًا بسابقيهم، غير أنّي لحظتُ من تأمّلي في هذه القضيّة أنّ التأثّر في الخُلُق أقلّ من التأثر في العلم والفكر؛ لأنّ الإنسان يأخذ العلم عن غيره، بينما تحكمه الجِبِلّة في أخلاقه، وتنزع به الوراثة، ولأنّنا نؤمن أنّ العلم بالتعلّم، والحلم بالتحلّم؛ فالأخلاق تكتسب إذا عزم الإنسان على التغيير، والاقتداء بالخُلُق الإسلاميّ الأصيل سمة المسلم الحقّ.

وحين أقف على قضيّة التأثير والتأثّر سأقف على أهمّ سمات العالم الحقّ التي تبقي له أثرًا خالدًا في النفوس، مستشهدة بعلماء النحو الأجلّاء، وأهمّ هذه السمات:

- **التقوى**: وهذه أعظم صفات المؤمن، والعالم أولى بها من الجاهل، حكى أبو العبّاس بن المبرّد، قال: "قصد بعض أهل الذمّة من أهل اللغة أبا عثمان المازني ليقرأ عليه كتاب سيبويه، وبذل له مائة دينار على تدريسه، فامتنع أبو عثمان من قبول بذلِه..."، قال: "فقلت له": "جُعلتُ فداك؟ أتردّ هذه النفقة مع فاقتك وشدّة ضائقتك؟!" فقال: "إنّ هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله تعالى،

---

[40] السيوطي، "تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب". 1: 342.

[41] الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". 105.

[42] المقري، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب". تحقيق إحسان عبّاس، (بيروت، دار صادر، 1968م)، 2: 230.

[43] المقري، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب". 2: 232.

[44] السيوطي، "بغية الوعاة". 1: 233.

ولستُ أرى أن أمكّن منها ذميًّا غيرة على كتاب الله تعالى وحميّة له"[45]. ما أعظمها من تقوى! وما أروعها من نفوس! ومن مآثر المازني ما حكى عنه عبد الرحمن السيّد بقوله: ولقد كان المازني تغلب عليه العاطفة المحبّة للخير، التي تكره الإيذاء، وتنفر منه، وقد التقى بعض نحاة الكوفة لدى شخوصه إلى بغداد، ونال منهم علميًا، لكنّه احتفظ بالودّ والتقدير لهم[46]. وهذا يصوّر لنا الخلاف العلميّ بين النحويين؛ إذ لم يجاوز حدّه ويصل بهم إلى مراتب الكره والضغينة.

- **الصدق**: وممّا ورد في أخبارهم أنّ ثعلب كان ثقة حجة صالحًا ديّنًا مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة[47]. وكذلك ما ورد في أخبار النحوي الأندلسي ابن الإفليلي (ت441ه) بأنّه صادق اللهجة، صافي الضمير، حسن المحاضرة، مكرمًا لجليسه[48].
- **التواضع:** وهذه من أهمّ سمات العالم، وفي سير علمائنا ما يبهج القارئ من التواضع، ويظهر التواضع عند إمام النحويين سيبويه، قال نصر بن عليّ: "كان سيبويه يستملي على حمّاد بن سلمة"، فقال حمّاد يومًا: قال صلى الله عليه وسلّم: "ليس أحدٌ من أصحابي إلّا وقد أخذت عليه، ليس أبا الدرداء"، فقال سيبويه: "ليس أبو الدرداء"، فقال له حمّاد: لحنت، "ليس أبا الدرداء"، فقال سيبويه: لا جرم! لأطلبنّ علمًا لا تلحنّني فيه أبدًا، وطلب النحو[49]. وهذا الموقف يوضح ما كان عليه سيبويه من التواضع، والبعد عن الجدل، والتسليم بالصواب. ومن صور تواضعهم ما ورد في أخبار أبي جعفر النحّاس المصريّ (ت338ه) أنّه كان لا يتكبّر أن يسأل الفقهاء وأهل النظر، ويناقشهم عمّا أشكل عليه في تأليفاته[50].
- **حسن الظنّ:** ويمثل هذه الصفة الحميدة إمام النحاة سيبويه، حين جاءه الأخفش يومًا يناظره، فقال له الأخفش: "إنّما ناظرتك لأستفيد منك"، فقال له سيبويه: "أتراني أشكّ في ذلك!"[51].
- **الصفح والعفو:** من العلماء الذين يقرّ لهم التاريخ بسمة العفو والصفح المبرّد؛ فعلى الرغم من الخلاف النحوي الذي كان بينه وبين ثعلب إلّا أنّه يعفو ويصفح مهما آذاه منافسه، ومن ذلك ما روي أنّ أبا العبّاس ثعلب تخلّف المبرّد بكلام قبيح، فبلغ ذلك المبرّد، فأنشد:

رُبّ من يعنيه حـــــــالي وهو لا يجـــــــري ببـــــالي
قلبـــــــه مـــــــلآن مـــنّي وفؤادي منـــــــه خـــــــالِ

---

[45] الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". 126.

[46] انظر: عبد الرحمن السيد، "مدرسة البصرة النحويّة، نشأتها وتطوّرها". (ط1، مصر: دار المعارف، 1968م)، 507، وحسن الملخ، "العقل النحويّ". 123.

[47] انظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة". 1: 174.

[48] انظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة". 1: 219.

[49] انظر: الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". 57.

[50] انظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة". 1: 137.

[51] الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". 60.

فلمّا بلغ ذلك ثعلبًا لم يُسمع منه بعد ذلك في حقّه كلمة قبيحة[52].

- **السخاء:** ومن صور السخاء عندهم ما ورد في ترجمة أبي الحسين الرازي (ت395ه) بأنّه كان كريمًا جوادًا، فربّما وهب السائل ثيابه، وفرش بيته، وكان له صاحب اسمه: أبو العبّاس أحمد الرازي المعروف بالغضبان، وكان يخدمه، ويتصرّف في بعض أموره، قال: "فكنت ربّما دخلت، فأجد فرش البيت أو بعضه قد وهبه، فأعاتبه على ذلك، وأضجر منه، فيضحك من ذلك، ولا يزول من عادته، فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئًا من البيت قد ذهب، علمتُ أنّه قد وهبه، فأعبس، وتظهر الكآبة في وجهي، فيبسطني... ويقول: ما شأن الغضبان؟" حتى لصق بي اللقب[53].

وممّا روي عن العالم أبي أحمد البصري (ت405ه) أنّه كان سخيًّا كريمًا، قيل عنه: "كان عبد السلام البصريّ من أحسن الناس تلاوة للقرآن، وإنشادًا للشعر، وكان سمحًا سخيًّا، ربّما جاءه السائل، وليس معه شيء يعطيه، فيدفع إليه بعض كتبه التي لها قيمة كثيرة، وخطر كبير"[54].

- **الزهد:** أكبر نحوي يصوّر الزهد هو الخليل بن أحمد؛ فقد قيل: "أُكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه، وهو في خصّ"[55]. وقيل عنه: "لم تدفعه دوافع الطمع، وحوافز المادّة إلى طلب القرب من ذوي الشأن وأصحاب المكانة"[56].

ومن مآثر زهدهم ما حُكي عن أبي بكر الأنباري (ت328ه)، وكان زاهدًا متواضعًا، قال العروضيّ: "اجتمعتُ أنا وهو عند الراضي بالله على الطعام، وكان قد عرّف الطبّاخ ما يأكل، فكان يسوي له قليّة يابسة". قال: "فأكلنا نحن من ألوان الطعام وأطايبه، وهو يعالج تلك القليّة، ثم فرغنا، وأتينا بحلوى، فلم يأكل منها، فقام، وقمنا إلى الخيش، فنام بين يدي الخيش، ونمنا في خيش ينافس فيه، فلم يشرب ماء إلى العصر، فلمّا كان بعد العصر، قال: "يا غلام"، الوظيفة! فجاءه بماء من الحبّ[57]، وترك الماء المزمّل بالثلج، فغاظني أمره، فصحت صيحة: "يا أمير المؤمنين! فأمر بإحضاري"، وقال: "ما قصّتك؟ فأخبرته"، وقلت: "يا أمير المؤمنين، يحتاج هذا أن يحال بينه وبين تدبير نفسه؛ لأنّه يقتلها، ولا يحسن عشرتها، فضحك، وقال: "له في هذه لذّة، وقد جرت له به عادة، وصار آلفًا لذلك فلن يضرّه". ثمّ قلت: "يا أبا بكر، لم تفعل هذا بنفسك؟" فقال: "أبقي على حفظي"، قلت له: قد أكثر الناس في حفظك، فكم تحفظ؟" فقال: "أحفظ ثلاثة عشر صندوقًا"[58]. وإنّها لصورة ترسم لنا قمّة الزهد في الدنيا؛ لعظيم الغايات، فهو يزهد في طعام وشراب بين يديه؛ ليتقن الحفظ، ولا عجب؛ فالبطنة تذهب

---

[52] انظر: الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". 146.

[53] انظر: الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". 195.

[54] الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". 203.

[55] الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء". 52.

[56] حسن الملخ، "العقل النحويّ" 105.

[57] الحبّ: إناء لماء الشرب.

[58] الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء" 167.

الفطنة.

- **إجلال بعضهم**: ومن صور ذلك ما ورد عن الأصمعي؛ إذ أقبل أبو عبيد القاسم بن سلّام، فقال الأصمعيّ: "أترون هذا المقبل؟"، فقالوا "نعم"، قال: "لن يضيع الناس ما حيي هذا المقبل"[59].

وهذه الصفات والخصال التي تصوّر لنا خُلُق علمائنا الرفيع، لا تعني أنّ هناك من لا تنزع به نفسه إلى الخصال السيئة، ولكنّهم قلّة، والحياة لا تخلو من وجهين: الأبيض والأسود، وبضدّها تتميّز الأشياء، لكنّ السواد الأعظم كان ينهج منهج الدين في الإحسان والتعامل مع الآخر.

وعندما أتحدّث عن قضيّة التأثير والتأثّر؛ فإنّني أؤكّد على قضيّة مهمّة، وهي قراءة تراثنا، والإفادة من علم سابقينا وأخلاقهم، ومنهجهم في طلب العلم.

وإنّ الوقوف عند هذه الأمور النفسيّة ليترك أعظم الأثر في طالب العلم، ونحن أحوج في زماننا إلى قراءة سيرهم والتأسّي بهم؛ لما نجده من تكالب على متاع الدنيا؛ ممّا يؤثّر في طالب العلم، ويشغله عن الحفظ والفهم وحضور الدروس العلميّة.

الخـــــــــاتمة

بعد هذا العرض والرحلة الماتعة مع علماء النحو، والوقوف على قضيّة علميّة مهمّة في فكر النحو، وهي الخلاف العلميّ، وأبرز سمات علماء النحو، وتعاملهم مع المخالف، تخلص هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، وهي:

1) أنّ الخُلُق الإسلاميّ ذو قيمة عظيمة في قبول علم العالم، وبركته، وانتشاره.
2) أنّ احترام الرأي الآخر وقبول المخالف له قيمة كبرى في مجال الخلاف العلميّ.
3) أنّ الاختلاف في الرأي والعلم طبيعة بشريّة، ولله حكمة إلهية في اختلاف البشر.
4) أنّ الخلاف النحويّ الإيجابيّ له أثر في توسّع علم النحو وتطوّره.
5) أنّ الخلاف العلميّ بين النحويين له أسباب وبواعث، منها: التنافس والرغبة في إظهار التمكّن العلميّ، والحصول على المنزلة والمكانة عند الخلفاء والأمراء، واختلاف المنهج الفكريّ، والثقافة، وأسلوب كلّ مدرسة في السماع والقياس والتعليل.
6) أنّ احترام الرأي العلميّ ظاهرة واضحة جليّة عند النحويين تثبتها النصوص.
7) أنّ عبارات النحويين مع مخالفيهم تشعرنا بعظمة العلم، وقيمته في التأثير في السلوك الإنساني، وتضع للباحثين منهجًا وطريقة في النقد، وهذه العبارات علمٌ يدرّس، فهو لا يقلّ عن غيره من العلوم قيمة، ولا يبعد أن يكون منهجًا للتعامل مع المخالف، وطريقة الخلاف.
8) أنّ الأخلاق العالية للنحويين صور إنسانيّة تجاوزت التنافس العلميّ، والاقتداء بالخُلُق الإسلاميّ الأصيل سمة المسلم الحقّ.

---

[59] الأنباري، "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، 105.

9) أنّ قضيّة التأثير والتأثّر من القضايا المهمّة، وهي تؤكّد قيمة قراءة تراثنا، والإفادة من علم سابقينا وأخلاقهم، ومنهجهم في طلب العلم.

وختامًا: الحمدُ لله الذي يسّر لي هذا العمل، وأسأل الله أن يكون لبنة لقراءات أوسع لتراثنا العلميّ العظيم، وأن ينفع به؛ وما كان فيه من صواب، فهو توفيق من الله عزّ وجلّ، وما فيه من خلل فمن نفسي والشيطان، والحمد لله من قبل ومن بعد!**[60]**

60